الشعر والشعراء فى كيرالا وأساليبهم

الدكتور ك.م. محمد
الأستاذ المساعد-جامعة كالكوت
الهند .

علاقه كيرلا التجارية

كيرالا ولاية صغيرة فى جنوب الهند . كانت هذه البقعة معروفة لدى العرب باسم مليبار و كان تجار العرب يختلفون اليها منذ سالف القرون ١ و عدة ميناء بسواحل مليبار سهلت وسائلهم التجارية . وينتمى هذه العلاقة الى عهد سليمان عليه السلام (٩٨٠-٩٣٠ ق‌م) ٢ . و اشترى اليونان الزنجبيل و الفلفل و القرنفل من مليبار منذ القرن السادس قبل الميلاد ٣ . كان العرب يبتاعون ما انتجته أرض كيرالا الخصبة من الحبوب و الثمار ويحملونها فى مراكبهم الى العدن حيث كان يبتاعها منهم الفينيقيون و المصريون ٤ . ويقول المؤرخ سردار ك.م. بنكار : كانت كيرالا علاقة تجارية قديمة مع العرب منذ أزمنة طويلة . و كانت تجارها لاسيما أهل مسقط و البلاد العربية كانوا يقومون بزيارة موانى مليبار ٥ . و كان بزرع الفلفل فى تربة مليبار وحدها قبل بداية زراعتها فى جاوة قبل مجيئى الهولنديين ويجلب الاجانب من مكان البلاد الباردة ٦ . و تقع مكة المكرمة فى طريق القافلة التجارية من الصين و الهند و سواحل افريقيا فى الجنوب و من دمشق و القسطنطينية فى الشمال . والشاعر الجاهلى امرؤ القيس (٥٠٠-٥٤٠)

يشبهبعر الآرام الجافة فى عرصات ديار جبينه بحب الفلفل . يقول : ٧

ترى بعر الآرام فى عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

والشاعر عنترة (٥٦٥–٦١٥ م) يشبه سواد شعر أمه بالفلفل الأسود . يقول : ٨

وأنا ابن سوداء الجبين كأنها ذئب ترعرع فى نواحى المنزل
الساق منها مثل ساق نعامة والشعر منها مثل حب الفلفل

هذا ان دل على شيئى فانما يدل على أن الفلفل كانت معروفة للعرب حتى قبل الاسلام . و نستدل من ذلك ان العرب كانت لهم علاقة تجارية مع أهل كيرالا قبل الاسلام . كانت تصدر الامتعة من سواحل الهند الى اليمن و من هناك الى سوريا كما ورد فى القرآن المبين ٩ . و كذلك العرب كانوا يزورون سيلان لتصدير جواهرها و الأحجار الثمينه بطريق كيرالا و كانت سيلان معروفة لديهم من أعوام سالفة . ١٠ و التجار العرب الذين جاء وا الى كيرالا حملو معهم رسالة الاسلام و الدعوة الى كلمة التوحيد حتى انتشر دينهم وثقافتهم و لغتهم العربية . و كانت كيرالا أول بقعة فى الهند التى انتشر الاسلام فيها . وقد سجل تاريخ الهند أن الاسلام دخل كيرالا من بقاع الهند فى السنة الخامسة منالهجرة وفى ذلك الوقت بنيت مساجد كثيرة كمسجد ماداى قريبا من كننور و مسجد كدنكلور .

وفى رأى « كما نثار شرى دارن نابر » توسعت هذه العلاقات التجارية فى عهد ملك الهند « وجيا جولا » ١١ و بعد أن أذلهم الله بزوال ولايتهم قويت را بطة المصادرات فى سواحل بلاد الهند . ١٢

كانت علاقة ملوك « السامرين » مع تجار قوية و أصبحت

كالكوت مركز الفلفل و اشتهرت بتصديره فى السواحل الجنوبية ولم يزل ينقل الى البلاد البعيدة من هذا الميناء فصار السامريون أغنى ملوك الهند ثروة فى السواحل العربية .

ولما انبثق فجر الاسلام فى سواحل كيرالا غيّر كثيرا من نظمها الاجتماعية التى كانت مستمدة من عدة انظمة و كانت لجميع القبائل الهندوكية روساء وسادات . و المسيحيون لايكثر عددهم من خمس فى مأة و يعيشون حول كنائسهم . واليوم عددهم كثير «بكرانكور» و المسلمون العرب كذلك وفدوا اليها و استوطنوها . ١٣

استيطان العرب المسلمين

و فى السنة الثامنة والسابعة للهجرة اعتنق الاسلام مأة من قبائل العرب و قبائل شواطئ اليمن . اعتنقوا الاسلام فى السنة التاسعة و العاشرة و أكثرهم تجار يصدرون من موانى سواحل فارس و مصر « و كونكنم » و « ملبار » و « معبر » و « سيلان » و « جاوا » و « اصين » وغيرها . اينما وصلوا بلغوا رسالة دينهم فكان ذالك سببا لانتشار الاسلام بكيرلا . ١٤ ويقال أن مسجد « ماداى » قد بنى فى عهد النبى (ص) ١٥ و تزوج العرب المسلمون من مسلمات كيرالا فأنجبت هذه المصاهرات جيلا جديدا وهم يعرفون اليوم باسم مابلا وثقافتهم وسياستهم و تواضعهم لما أخذت مأخذها فى هذا المجال بدأ الهنود يعتنقون الاسلام فاصبحت الطبقة المنحطة منهم طبقة عالية يمنح الاسلام لهم حرية كاملة و الملوك يحرضون ويأمرون الصيادين بسواحل البحار و الاكارين بقبول الاسلام .

شعراء كيرالا و اساليبهم

و لما اعتنق عدد كثير من سكان كيرلا الاسلام اضطروا الى تعلم اللغة العربية قرأة و انشاء لأنها لغة القرآن و الحديث و لغة الأحكام و القوانين الدينية و السور الواجبة والمسنونة فى الصلاة و الأذكار و التحية وغيرها ، لايتم إلابها و كان من العرب من يقدر على ذلك فبذلوا غاية جهدهم و امكانياتهم على تعليم اللغة العربية حتى أصبح عدد كبير من المسلمين يتكلمون بالعربية . و تجرى فى المساجد حلقات و مواعظ ولا يزال الناس يجتمعون فى هذا الحلقات الدينية لكى يكونوا بارعين نابغين فيها و اكبر دليل لنبوغهم و براعتهم انهم قرضوا الشعر فى موضوعات مختلفة يعبرون عن عواطفهم الدينية و الدنيوية و غالب موضوعاته الترحيب بالعلماء و الامرآء و الرثاء و تهنئة الأصدقاء و الأقرباء فى حفلات الزواج و غيرها . ولعله أول شعر وصل الينادو خماسية البردة التى قرضها القاضى أبوبكر بن رمضان الشالياتى المتوفى سنة ٨٩٥هـ ١٦ . و كانت هذه القصيدة خالية من التكلف و الصنع يقول . ١٧

وفقا بنفسك يا من بات ذاألم كم ذا التأوه فى بحلولك الظلم
مالى أرى حمرة فى الحد كلعنم امن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ام فاح طيب عهود ثم جازمة ام ناح ورق بانشجان ملازمة
ام لاح انوار ليلى فى منادمة ام هبت الريح فى تلقاء كاظمة
أو اومض البرق فى الظلماء من اظلم

و لشالياتى حماسية فى قصيدة بانت سعادت باسم راحة الفؤاد لاشتماله على العاطفة الدينية و يذكر فى الغفلة عن الموت .

الى متـــى المرأ تغويه اقامته   بدار دنيا قـــد صحت كرامته
قولوا لم غيره فيها جلالتـــه   كـل ابن انثى وان طالت سلامته
يوما على اله حدباء محمول

و من تلاميذ الشالياتى :

الشيخ زين الدين بن على المتوفى سنة ٩٦٨ھ/١٥٢٢م وهو عالـــم مشهور بكيرلا. اسس المسجد الجامع « بفنان » و درس فيه و الطلاب لايزالون يقبلون عليه من جميع انحاء الهند لطلب العلم · وله اكثر من عشرين كتابا شعرا و نثرا ١٩ كمرشد الطلاب و ســـراج القلوب و علاج الذنوب فى التصرف وشرح الفية ابن مالك و تحفة ابن الوردى فى النحو و تحريض اهل الايمان الى جهاد عبدة الصلبان و ذكر الموت و هداية الاذكياء الى طريقة الاولياء — ومى قصيدة طويلـــة فى التصوف يذكر ان السعادة الابدية هى غاية الانسان و الطريق الى هذه الغاية هى الشريعة والطريقة والحقيقة ومثل الشريعة بسفينة و الطريقـــة ببحـــر والحقيقة بدر و من اراد ان يحصل الدر لابدان ان يـــركب السفينة و يغوص فى البحر فيقول : ٢٠

ان الطريق شريعة وطريقة   وحقيقة فاسمع لها ما مثلا
فشريعة كسفينة وطريقـــة   كالبحر ثم حقيقـــة درعلا
من رام درا للسفينة يركب   ويغوص بحرا ثم دراحصلا

ويقول فى التوبة :

فالتوب مفتاح لكل طاعة   و اساس كل الخير اجمع اشملا

و كتاب تحريض اهل الايمان على جهاد عبدة الصلبان : هـــذه

قصيدة تحتوى ١٧٢ بيتا يذكر الشدائد الدؤلمة التى لقوها فى ايدى البرتقاليين ويحرض المسلمين على جهاد الافرنج لانقاذ المسلمين وبلادهم من الكرب و الضراء والذلة والكفر يقول : ٢١

بغو فى مليبار باصناف بغيهم و انواع شدات واجناس فتنة
من الاسرع والنهبا واحراق مسجد و خرق كتاب ثم هتك لحرمة

★ ★ ★

وصد عن الحج المعظم قدره بتعطيل اسفار الى خير بلدة
و قتل لحجاج وسائر مؤمن بانواع تعذيب و اصناف مثلة
وسخر من الاسلام والمسلم الذى يمر طريقا ثم ضحك بجهرة

ويقول فى فرضية الجهاد :

جهاد هم فرض كل مسلم قوى بنفس ثم زاد وعدة
حتى على عبدبلا اذن سيد و ولدبلا اذن وزوج قوية

★ ★ ★ ★

فياايها السادات انتم رجاؤنا بفضل اله العرش فى كل شدة
رسحن عطاش انتم السحب تمطر فياليت شعرى هل نفوه بربة

★ ★ ★ ★

فقد حرض المولى على الغزو للعدى خصوصا على غزو لتفريج كربة
فانا لمن مستضعفين اجعل لنا ولبا بميرا من لدنك برحمة

ويقول فى فضل الجهاد :

وان جميع البر فى جنب غزوة كنقطة ما ء فى البحار الذخيرة

كــذ لك كــل البر للغزو نقطة بجنب عاــوم لازدياد الفضيلة

ويقول ان الذين قتلوا في سبيل الله تمنون ان يقتلوا ايضا شهيدا . :

فقا لوا نريد الرد للروح فى الجسد لنقتل فــى سبل الاله بمــرة

وفى اخر القصيدة ينصح المسلمين بالجد والعمل ويقول :

ومــا الله رب الــعالمين يغيــر نعيمــا بقــوم او بلا . بزمرة
اذا لم يغيــر هولا . لمــا بــهم من الحال ذات الحسن اوذى قباحة
وا هلك عدا نــا مثل قوم تمردوا بما ســت من حرق وغلق وقتلة

ويختم القصيدة با لدعا . الى الله :

فليس لــنا الا رجــاءك ربنا فانك كشاف الكروب بقدرة
و صل على خيــر الكرام والــه وصحــب وتبــاع بحسن طوية

توفى الشالياتى فى القرن الخامس عشر و المخدوم فى القرن السادس عشر الميلادى . ولم ينقل الينا اخبار اى شاعر فى قرنى السابع عشــر والثامن عشر الا القاضى محمدبن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠٢٥/١٦١٦م. و للقاضى خمسة و عشرون مولفاً ٢٣ اكثرها منظومة و مــن أحسن منظوماته .

١. نصيحة الاخوان : يتفوق هذه القصيدة فى العاطفة الدينية و تحتوى ٨٠ بيتا مطلعها :-

الى كم ايهــا الانسان على التــويف و النسيان
وتز هو العفو و الغفران و تعصى ربك الرحمن

يصور الحياة الدنيوية فى هذه الأبيات :

و فى لـذاتهاســر و فى خيراتها شــر
فى جذواتها ضر و فى مربحها الخسران

٢. فتح المبين : هذه قصيدة تاريخية يبين فيها الاحوال السياسية الداخلية فى كيرالا فى عصره . و كان المسلمون يميلون الى جانب ملك «السامرى» و ينصرونه فى الحروب خلاف الافرنج يصف السامرى قائلا :

وهو محب ديننا الاسلام و المصلمين بين ذى الانام
نام ديننا و مجرى شرعنا حتى بخطبة على سلطاننـا

يصف قدوم الافرنج قائلا :

لما اتى فى الهند كالجراد متجــرا بنيــة الفســاد
ليجعل الفلفل و الزناجيل لنفسه و للورى كالنارجيل
عام ثلاث بعد تسعمائــة من هجرة المختارين النسمة



فقام كالعبيد حتى يجمع قوته كاملة ثـم ارتفع

يصف ظلمهم المسلمين ويقول :

كذلك اجرى ماجرى من امره ولا نطيق حصره بذكر
من خرق بلدان وهدم مسجد وجعله للخلق مثل الاعبد

يبين كيف منعوا تجارة المسلمين ويقول :

و منع المرا كب المكيـة و كان دامن اعظم البليـة
و خصص الفلفل والزناجيل لنفسـه و للورى كالنارجيل

٣. ومقاصد النكاح و الفرائض الملتقط هما قصيدتان طويلتان جــدا .

ومما فى الفقه و نظامها بسهولة لكى يسهل الحفظ ،

نرى فى شعراء السابقين العاطفة الدينية النبيلة واضحة جدا و أن الشعراء لهم شخصية خاصة يدعوا الناس الى الأخلاق الكريمة

و فى القرن التاسع عشر اشتهر ثلاثة من الشعراء وهم السيد الشيخ الجفرى المتوفى سنة ١٢٢٢ ﻫ/١٨٠٢م و القاضى عمر بن على « البلنكوتى » المتوفى سنة ١٢٨٢ﻫ/١٨٥٢م و القاضى أبوبكر بن محى الدين « الكالكوتى » ١٢٥١ﻫ . و عندنا أشعار كثيرة فى هذا القرن . يتميز هذا القرن بتنوع المواضع و الأساليب والجدة والابتكار فى المعانى و البراعة فى الخيال . يعتبر هذا العصر عصر النهضة فى الشعر العربى فى هذه البقعة . و الشعراء فى هذا القرن أشهر هم القاضى عمربن على البلنكوتى . وله قصائد كثيرة . ٢٦ بعضها ذات مزية عجيبة يذكر بعض القصائد بالحروف المهملة مرة و بالمعجمة مرة اخرى . قصيدته لاح الهلال فى مدح النبى كل حروفها مهملة . و منها :-

روح العوا لم سعدالله حامده الحمد لطاص امام الرسل كلهم

والقاضى عمر بن على البلنكوتى له تخميس رائع يعرف « بميمية الاله » التى انشدها أمام الروضة المباركة . نرى فيها العاطفة و الحب الى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ساطعة من أعماق قلبه حين يقول :

يا أكرم الكرما على أعقابكم عمر الفقير المرتجى اجنابكم
يرجو العطاء على البكاء يبابكم و الدمع فى خديه سال سجيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ما جف دمع سال من عينين لكنه يجرى على خدين

من حب قلبى سيد الكونين حيا وميتا فى الكراب رميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يوجد الخيال المؤثر واضحا اذ يقول فى نفائس الدرر ما يلى :

سبحان من بانكشاف قد استر والخلق كالخفاش فى ضعف البصر
عجبا لظلم حامل فوق الظهر ماء فملء يبغى ممتن بمسر

والشاعر يصف النبى قائلا :

بحر العطايا المصطفى العالى القدر اهل الشفاعة خير من جاءالزبر
ركن الهدى وبل الندى وهو البدر بتمامه ولنوره استحى القمر

والقصيدة (عم البشرى) لطيفة من حيث المعانى والالفاظ والاسلوب معا يقول فيها فى وصف النبى .

خير الخلق قدم الصدق حلو المنطق ما هو هذرا
دعنى احكى وصف المكى فهو كمالك عرفا عطرا
اشنب افلج انجب ابلج اهدب ادمج احسن ذكرا
ادعج عين ابرق انور لون اعظم صبرا

وقصيدته الف القاضى كانت محبوبة لدى الدهنين فى العروس والولائم وله قصيدتان ايضا باسم نفائس الدرروالاخر مقاصد النكاح . والشاعر الثانى فى هذا القرن هو القاضى ابوبكر بن محي الدين بن علي . ولد القاضى فى اسرة قضاة كا لكوت سنة ١١٨٦ه / ١٧٨٧م كان هومن أحدأ صدقاء القاضى عمر السابق ذكره توفى سنة ١٨٥١ه . وله قصيدة جيدة فى مدح «مظفر الدين خا كان» وقد أ بدع فى وصف ممدوحه حين يقول .

رفيع الثرى مولى ملوك الثرى علت لرفعته رايات مجد بشهرة

كليث مع الاشبال حل بغابة لدى ما تلقى ما يضر بشبلة
فما كان يلقى من عدو مقابل ولو مثل رمل كثرة غير أكلة
أنام الورى فى ظل أمن من الردى أفاض عليهم سجل عدل وبرة

★ ★ ★

لاطناب هذا جرنى بحروصفه اذا جئت شط البحر غرفا لغرفة
فهاجت بى الامواج فى لجة العلى فجرت وخفت الموت فى وصف حضرة

وله مرثية فى أبيه. وفيها يصف أباه بأحسن أوصاف ويقول انه كان يخضع له رقاب الناس جميعا وانه كان أديبا و لبيبا وحكيما. و كان يأتى اليه قضاة مليبار وكان زينة لهذا البلد ولجميع المجالس يقول:

أهل الكتابة والشعراء والخطبا فى جنبه خضعت رقاب كلهم
ذو هيبة ووقار والسكينة ذو مجد أديب لبيب صاحب الحكم
باز القضاة و تاج للمليبار زين للمجالس بل فى كل قطرهم

وله رسالة فى الشعر كتبها الى الشيخ الفاضل الشيخ محمد شمس الدين المكى تحتوى القصيدة على ٢١ بيتا. وهذه الرسالة تدل على علاقة القاضى مع العلماء العظام خارج الهند يمدحه الشاعر ويتبادل الاخبار والمودة الخالصة يقول:

يا خير من فى المجالس المتكرم نور المكارم نورها المبتسم
بدر الزمان و بدر اثمار الهدى رب الهداية ذى الصراط الاقوم

★ ★ ★

ضحكت زوايا كم بذكر قد زهت بجما لكم دوما ثنايا المبسم

والشيخ شيخ بن محمد الجعفرى شاعر كبير فى هذا القرن. ٢٩

ولد الشيخ سنة ١١٢٩هـ فى بلدة تريم من بلاد حضر موت وارتحل الى « كالكوت » سنة ١١٥٩ و من أقربائه الصوفى المشهور السيد علوى بن الجفرى الذى دفن بمنبرم قريبا من « ترورنغادى » ولأسرته يد طولى فى نشر دين الاسلام فى هذه البقعة . توفى سنة ١٢٢٢هـ . ومن مميزاته انه أول من أنكر على كثير من المفاسد التى يراها ضدا للا حكام الدينية . قال فى تحريم التدخين :

يا من بريح الحشيش دائما طاروا وعطلوا ليوت الله واختاروا
ترك الصلاة وترك الصوم واعتقدوا خلاف ما أوجب الجبار اجبار

معطلين لما جاء الرسول به فهم زنادقة ايضا وفجار -
وينصحهم بالتوبه الى الله ويقول :

توبوا و عودوا الى ما قال سيدنا يا من بريح الحشيش دائما طاروا
أنقذ الشيخ الجفرى بعض المتصوفين قائلا فى بلدة كندوتى .

تعاطوا بالتصوف كل سوء وليس الصوف اعتقدوه برا
فقير لا يصلى قبل صوفى يرى بالطبل قد أحسن زمرا

باسم الفقر قد ضلوا اناسا واضلوا غيرهم سرا وجهرا

وفى القرن العشرين قد اشتهر كثير من الشعراء و منهم من تفوقوا فى أنواع مختلفة من الشعر فى مقدمتهم ابوليلى محمد بن ميران الذى يعتبرمن أشعر شعراء كيرالا . و من هذه الطبقة شاعران ايضا وهما محمد الفلكى الجمالى وأبو الرحمة محمد الفيى .

ولد أبوليلى فى بلدة « بلكال » سنة ١٣٢٢ هـ/١٩١٣م . ١٣ التحق

أبوليلى المشهور بالمدرسة التدريبية بعد نيــل شهادة النهائية من المدرسة الثانوية . ولكنه بدا يدرس بمدرسة المنار بشاليات قبل انتهاء دراسته بالمدرسة التدريبية . وعمل معلمافى مدارس مختلفة منها المدرسة بكالكوت وماهى و كوتيادى ، و مريور وعمل ايضا فى الصحافة والسياسة و المعسكر . ثم راح الى باكستان و عين مترجما فى السفارة السعودية ولكن بعــد بضع سنوات صار مريضا و استقال من وظيفته . وسافر الى المملكة العربية السعودية للحج راجيا الرجوع الى وطنه بعد أداء فريضة الحج . ولــم تحقق امنيته وتوفى سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م فى مكة المكرمة .

كان يقرض الشعر فى موضوعات مختلفة ويرسلها الــى أصدقائه و الى المجلات . و اشعاره ذات عواطف نبيلة و خيالات بديعة ومعانى فائضة . و يوجد فى أسلوبه عروبة امرئ القيس واخيلة شوقى .

اذا مدح اورح و اذا هجاابكى و اذ رثى اسكب الدماء من عيون القارئين . وله قصيدة فى تهنئة صديقه عمربن أحمــد البلنكوتى بمناسبة زفافه مع الآنسة فاطمة . يقول فيها :ـــ ٣١

وارتج من التعب الشديد وانت فى	نادى السرور فياله من نادى
عرس بمدحته الطيور صوادح	و بها ملئكة السماء تنادى
ابشر فتاة جاء يدخـــل خدرها	عمــر البلنكوتى باستعداد

ولباسه التقوى فيــحب ذيلــه	من خلفه انى يروح و يغادى
و نهاره العمل المفيــد اقومــه	والليل فى الصلوات ليل سهاد

خلق جميل زان اجمل صور	تهواه كل عنيزة و سهاد
جاز الالــه عفافــة بحليلــة	حسنــاء ذات محبــة و وداد

يصف العروسة ويقول :

فاقت نساء العالمين بعلمها و تزينت بثقافة و رشاد
مالى ليسعدنى بوصف جمالها الاحمام فى الحدائق شادى

أنشد يهنئى مجلة المرشد و قال :

يا مرشد القراء اهلا مرحبا مدى يديك يرق امة احمد
ما أنت الاديمة تصب باستقاء امتنا مع القلب الصدى
ما انت الا الشمس تطلع فى سما م الدين ان تنفى ظلام الماحد

يصف الشاعر ألم الفراق فى رسالة أرسلها الى صديقه أبى سلمى :

تذكر فرقة الاحباب تذكى حشاى و كل قلبى فى احتراق
دعى اسفى الى الاضعاف دمعى قلبى باستكاب و اندفاق
سيجرى دائما طول اغترابى على خدى دراً كا كالسواق
سخينا حاميا كمذاب فض و احمر قانيا كدم مراق

قد أبدع الشاعر حين وصف العاصفة التى دمرت مليبار سنة ١٩٤١م يقول:

تلك المواصف أعيت كل واصفها
وظنها الناس نفخ الصور و انذعروا
دويها يملأ الآذان صلصلة كما ينبذ من تيارها الحجر

★ ★ ★ ★

وحل نار من الاعمار محرقة ما كان يقوى على اطفائها المطر
ترى شرارا كشهبان فما شجر ينجو من الريح الا اجه النرر

اذا هجا فهو سيف قاطع يهجو اهل ترور نقادى ويقول :—

ويلا لاهل ترورنقاد ياوامها ويلا لمن حلها او رام سكناها

عجبت كيف نجت من رجفة اخذت أهل القرون التى ضلت بطغواها
فانها قرية احلافها فسدت ابليس سيدها الراعى و مولاها
سفينة مر فالاموال غايتها و باسم قارون مجراها ومرساها
يفوق بالبخل أنطاقية منعت قرى نبيين جاءا حين جا عاها

مجاء ما اشد فى الابيات الآتية :

وما كنوها شياطين فلا جمل للخير فيهم ولانوق و سقياها
قوم قد انتزع المكارم من أخلاقها فغدوا للوحش اشباها
هم البهائم الا أنهم بشر شكلا و نطقا و أعضاها وافواها

جهنم وضعت فى ارضها ليرى خصال سكانها السوء و سيماها
ماذا جنيت من الآثام فى عمرى حتى أعذب فى الدنيا بسكناها

وله مرثية طويلة على القائد الأعظم محمد على الجناح المتوفى سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩ م يصور فيها خدمته بابدع التصويرات يقول :

كيف السلو وفى الاكباد اجراح و من تألمها الاحشاء تنصاح
لله درك يا عينى ولا ندعى قطرا من الدمع الا وهو سحاح

يشبه الشاعر مسلمى الهند قبل الاستقلال بركاب سفينة وقعت فى بحر هائج أصابتها عاصفة شديدة وليس عليها ملاح و كان ذاك الحال هو السبب لتأسيس جمعية المسلمين فى الهند - يقول :-

رأى بنى دينه فى الهند ليس لهم راع وهم فى أوادى التيه ....
كأنهم فى سفين بين عاصفة مولى وليس على الشكان ملاح
او هم بيادق فى الشطرنج يلعبها على السياسة مكار و طماح

ثم يصف الشاعر شخصية القائد الاعظم وسيادته ويقول :-

قاموا اليه جميعا مهطعين سوى من الى فئة الكفار ركاح
تهيأو الجهاد تحت رايته وزلزلوا العرش بالتكبير اذا صاحوا

ولابى ليلى ديوان فى الشعر ولكن لايحتوى كل اشعار التى قرضها .

١٠ محمد الفلكى - هو الشاعر الثانى فى هذه الطبقة . ٣٢ ولد بقرية « ولتور » قريبا من « ولانجيرى » سنة ١٣١٨ / ١٩٠٩ م بعد دراسته فى دروس المساجد التحق بالكلية الجمالية بمدراس و حاز شهادة افضل العلماء سنة ١٩٣٣ م وعين فلكى مفتشا لتعاليم المسلمين ولكن لم يستطع ان يستمر فى هذه الوظيفة طويلا عمل معلما فى المدرسة العالية وتقاعد منها سنة ١٩٦٨ م . و بعد ذلك عمل مدرسا فى كلية جمال محمد « بترشى » وكلية العربية « بترو رنغادى » وكلية الجمالية بمدراس . و فى سنة ١٩٧٦ التحق دارلايتام بتلشيرى باسم دارالسلام ناظر اله و فرغ منها سنة ١٩٧٨ م توفى سنة ١٩٨٢ .

قد اشتهر فلكى شاعرا عربيا فى كيرالا . نشرت المجلات و الصحف أشعاره فى أحيان مختلفة و اشعاره تتميز بالخيال البديع و الاستعارة و التشبيه . اشعاره خالية من التكلف و كان يقرض الشعر بعاطفة عميقة .

وله قصيدة فى وصف كلية روضة العلوم العربية بفاروق يصفها الشاعر روضة تثمر فى كل المواسم و يتمتع الناس روائحها فى كل حين يقول :

فى روضة هبت برياها الصبا تترى فطابت انفس و بلاد
فى روضة هبت رياح علومها فارتاحت الارواح و الاجساد
اشجارها هى باسقات كلها والى جناها تضرب الاكباد

فلكم على اغصانها و فتونها للبلبل التغريـد والانشـاد
ولكم لها ظل ظليل نحوه للطالب التأويب والايـاد
أفيا عها و ظلالها فيها الهدى آجامها منهـا العلوم ثماد

يقول في وصف الخريجين منها :

هي از هر الهنـد الذي يرتاده من قد رجوا نيل العلى واراد وا
كم قـد تخرج منه ارباب العلى فكانهـم فوق الثـرى اوتاد

يقول في تهنئة فنان :

ايا فنان كوني ذات فخر بهذي الدار مورد كل صادي
انيري هذه الدنيا بنورا لـــعلوم و هـذيها بالوداد

يقول في مدح دار الايتام ببلدة « ترور نغادى » :

وهذي الدار مفخرة يقينـا لارض الهند وهي لها وسام
بها افتخرت مليار و صـارت بهـا بين البلاد لها احترام
بها اصبحت ترور نغاد محسو دة حـد ته مصر ثم شام

قد ابدع الشاعر حين وصف كلة العلوم والفنون جمال محمد بتمل نادو. يقول :

مـن علم الانسان مـالم يدره فا متاز بالشرف الرفيع الامجـد
وهدى الصراط المستقيم عبادة وأنا لهم أبج العالـى والـو،
قد اسـو المعلم دورا في الثرى تهدى البرا يـا كا لسراج الموقد
منهـا بنا . شـامخ ذو رفـعة في ارض ترشى قد زها كالفرقد

و يقول في ترحيب يم ـ ك ـ حاجي :-

احي الاله البر ام كي حاجي دهـرا طويلا نيرا في الداجي
هو دون شك وامترا. قد غدى في رأس «مسلم ليح» مثل التاج
عون اليتيم و ملجـا المسكين وملاذ كـل المعوز المحتاج

يصف الشاعر علاقة حبه بزوجته حين اخذها أبوهـا و طلب منه الطلاق العاطفة شديدة قوية فى هذه الابيات :—

اتيت الـى حديقتها لقيت هنا بها شتمها
ونا دتنى بكفيهـا و دانتنى بقـدميهـا
و كنت اذا ارافقها و ملت الى ملاعبتهـا
و كم يوما الاعبهـا تلاعبنى با صبعهـا

ولو لا دفع والدها لكنت هنا موانسها
ويلزم ان اطلقهـا و اوجعنى غيا بتهـا
ولو كرهوا برفقتهـا فربى لا افارقهـا
و ملت الى جوانبهـا فعانقنـى سناماهـا

يصف ثورة مليبار سنة ١٩٤١ و يقول :

اهل البر يطانيـة الاعلاج من ظلموا عبـاد الله دون مراء
قد اركبوهم فى قطار بضائع قد أغلقت ابوابها بصمام
قد اركبوهم من ترور عربة قد اسرعت نحو الردى كهواء

ماتو جميعا باختناق بالها من قـوة و صوامة صماء
و الآن نبكيهم بدمع ما طل يجرى على الخدين مثل الماء

و من مرسلاتها قصيدة كتبها الى صديقه عبد الله النورانى شاعـر آخر يصف فيها حنينه اليه يقول :

الى الذى هو ذو علم و عرفان و شاعر مثل كعب ثم حسان
من سوء حظى لا ادرى اسم ريحان يفوح منه شذى فى كل احيان

و الحال انى لفى هـم و احزان لبعدكـم لست يا خلى بفرحان

لقد جرى بيننا حكم امنان بالبعد ثم نوى يا خير اخوان

يقول فى رثاء الشاعر فى وى :

بكينا طول ايام على ذى الجاه مكرام
على ف وى ابى ليلى زعيم القول خدام
طويل الباع فى العلم اديب العصر مقدام
بليغ جانب كلا بمنطقة واقلام

و قصائدها كثيرة نكتفى بهذا القدرلضيق الصفحات . أبو الرحمة محمد الفيضى: ولد محمد بن محيى الدين الفيضى سنة ١٣٢٢ ه / ١٩٠١ فى قرية بلنكوت قرية من منجيرى ٣٣ بعد دراسته فى المساجد بونڈور و ماركاد وغيرها التحق بكلية الجمالية و بعدها بكلية الباقيات الصالحات . و بعد ان تخرج منها رجع الى بلده سنة ١٩٣٢ م و عمل مدرسا فى بعض المساجد و بكلية دارالعلوم حتى توفى سنة ١٣٦٣ ه / ١٩٤٢ م من تصانيفه فى النثر تحذير الناس عن وسواس الخناس و فتح المشكلة و تحفة البارى ، فى مناقب الشيخ زين الدين البخارى . وكان قديرا باللغة العربية وماهرا فى العلوم و الفنون المختلفة . وكان يراسل فى الشعر مع كثير من أصدقائه الذين لهم ذوق فى الشعر . و أشعاره جيد الأسلوب و غزير المعانى و ذات عاطفة نبيلة و توجد فيه خيال بديع . وكان الفيضى يتعمق الى بواطن الامور فيخرج ابها الى الناس و يبديها فى شعره . فهى تتميز بالعروبة الكاملة ولا يطيل الكلام بالمدح و الثناء و انما يكتفى بالاشارات الى الوقائع و الحوادث وله اشعار فى الوجدانيات و الرسائل و التهانى و المدح وله قصيدة فى مدح النبى ﷺ و يحتوى على ٢٤ بيتا . يقول :

الى اخلاص توحيد دعاهم ابى التقليد نهج الجاهلينا
و ذاك الدين نظمهم بسلك نفيس فاق نظم الناظمينا
و كانوا اخوة من قبل كانوا اشداء الخصومة مهرقينا

و كان العفو شيمته و حلم فما حلم منه ما فى الغابرينا
و هذا سيفه ما من حديد به دانت رقاب الكابرينا
أقروا انه الهادى أمين سوى المحروم من متكبرينا

و كتب فى رسالة الى صديقه :

وما للمرأ أعلى من سرور عليه كل حاجات تدور
لما الاموال فى الدنيا وملك و جنات اذا فقد السرور
فخذ منى دعاء باختصار سرورا دائما هب لى قدير

ولـه قصيدة فى رثاء على « المولوى كديامو الجنكوتى » المتوفى سنة ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢ م يقول :

و ذاك بحر عظيم كان سيلانا فى كل قطر عذب الماء نفعانا
بل ذاك بحر علوم كان يروينا استاذهم فهم الانهار جريانا
غروب ذا النجم أبكانا واشجانا وكيف نسلو وطيب العيش قدبانا
غربه ايتم الحيوان الحيوانا وصير الكل بالاخوان مجنونا

مراسلاته النظمية كثيرة ولكن لا نذكر كلها .

قد اشتهر كثير من الشعر فى القرن العشرين كما ذكرنا من قبل منهم المتوفون و منهم الموجودون فى قيد الحياة . قد ذكرنا ثلاثة من المتوفين الذين تفوقوا فى فنون مختلفة من الشعر و من مشتهرى هذه الطبقة عبدالله النورانى و ابو سلمى محمد جمال الدين و عبد الرحمن

الفضفرى و عبدالقادر الفضفرى وغيرهم نلخص أشعارهم كما يأتى :

عبداقه بن محمد النورانى : ٣٤ ولد فى كدبرم قريبا من ترنالا سنة ١٣٣٣ه/١٩١٢م و توفى سنة ١٣٧٣/١٩٥٣ وعنه قال الفلكى ، انه كان شاعرا سعيدا و فخرا لكيرالا ، تتميز اشعاره بالعروبة كان للنورانى صديق باسم صالح و كان له لحية جميلة يقول فى مدح لحيته :-

واها للحية صالح باواها من شعرها يبدو الصلاح مضيئا
خداسيل ليس يلتمس سوى حور حسان لم يلاق بغيا
كم حفصة وصفية و سمية يعشقه لشقائهم بكيا

لو كانت امرأة العزيز تناله ليصير يوسف عندها منسيا

قال فى مدح شعر محمد الفلكى :

ارى الاشعار تبع من خلال يراع محمد الفلكى الجمالى
فلست لشعره نلقى نظيرا و اين الدر من كتب الرمال

يقول مودعا بلدته ترنالا و طلبته هناك :

أيا «ترنال» ذا وقت الوداع قد استود عنك الله العظيما
واركب قاربا فى نهر دمع و أذهب من هنا كئيبا هيوما
تلامذتى ويا أفلاذ كبدى هنا كم ربنا الن‍ـ‍ج القويما

أبو سلمى محمد جمال الدين ولد فى كيرالا قرية من « بدكارا » سنة ١٩١١ م وهو خريج دار السلام بعمراباد . توفى سنة ١٣٨٥/١٩٦٥ كان كاتبا مشهورا وشاعرا قيما . كتب جوابا لابى ليلى :

حصلت على مرقومكم اذا اتانيا فاسيل دمعى بعض ما كان حاويا
ومذ ذقت مر البين أيام بينكم ابيت اذوق الوصل منكم لياليا

قال فی رثاء ابی لیلی :

ابا لیلی أتأتی بعد فینا ولو بعد الشهور او السنینا
فکم لی من حکایات الیکم وکم خبر خبأت لکم کمینا

دفنت نزیل أصحاب کرام فصرت لهم زمیلا او قرینا
حییت وکنت أشرفنا جمیعا ومت وکنت أشرف میتینا

٣ عبدالقادر الفضفری : ٣٥ ولد فی فضفر سنة ١٣١٣ھ/١٨٩٥م وهو خریج باقیات الصالحات « بولور » عمل معلما فی مدرسة القاسمیة « بتجاوور » و فی المدرسة القادریة و فی « ترورنغادی » و « منارکاد » و « دار العلوم بوازکاد » .

و من تألیفاته حاشیة نطر الندی و دیوان الاشعار الغریبة و الامثال العجیبة . وجمع فی هذا الکتاب الایات المختارة من الکتاب و المجلات و کثیرا من أشعاره .

وله قصیدة فی مدح خیر الوری و منها :-

محمد افضل المخلوق ذو العصم محمد صاحب القرآن و الحکم
محمد قاسم الاموال و النعم محمد اشرف الاعجام و العجم
محمد صادق الافعال و الکلم

محمد راحة الدنیا و ضرتها محمد أمة اهدی لنهجتها
محمد عروة الوثقی و حجتها محمد زینة الدنیا و بهجتها
محمد کاشف الغمات و الظلم

قال یرثی علی الحاج محمد کتی « الکویفا تودی » :

والنفس حائرة العيـــن ساهرة والد مع ساكبة ممزوجة بدم
به المليبار باهت بين اخـوتها فمن يقاربه فى الهند كالعجم
مسك تضوع فى الدنيا روائحه يا ليت صيته دامت بلارقم

ان الشعر العربى قد اجتذب الطلاب و العلماء اليه حتى جعـــل بعضهم موضوعا لمادة الدكتوراه . ومنه وبران محى الدين الذى قدانم دراسته من هذا الموضوع .

العاطفـة الدينية تنعكس فى اشعار كيرالا العربية . و المــدح و الترحيب شاع كثيرا فى الشعر العربى فى كيرالا . و كان الشعراء من قديم يمد حون با لاشعار العربية العلماء و الامراء الذين يفـــدون اليهم من البلاد العربية وغيرها فى مناسبات مختلفة فيستقبلهم الكيراليـون استقبالا حارا وينشدون امامهم اناشيد ترحيبية عربية قرضها شعرائهم . و من احسن من قرض فى هذا الموضوع أبوليلى و النورانى . و الفلكى و محمد ابو الملاح الباقوى وغيرهم .

والمراثى هى الاكثر فى الأشعار العربية فى كيرلاولها شهرة عميقة بين العلماء والعوام لان موت الأقرباء و العاماء حرض الشعراء على ذكـر محاســنهم وفرط الحزن بموتهم و قرضوا ما تنشب فى نفوسـهم من هذه العاطفة الحزينة . و من المجدين فى الرثاء ابوليلى و الفلكى والسيد حسين بـن محمد والمولوى محمد ابو الكمال .

و الرسائل العربية ايضا من الاشعار الهامة فى ديار مليبار و كانوا يرون فيها نوعين من التمتع تمتع الاخبار و تمتع الذوق الادبى و فى مقدمة هذا القبيل القاضى ابوبكر بن محى الـــدين « الكالكوتى » و

الفلكى و ابوليلى و « الفضفرى وغيرهم والشعر الهجائى قليل بين الاشعار الكيرلية العربية و فى الجملة فالاشعار العربية الكيرلية تشمل جميع انواع الشعر العربى فالشعر العربى فى كيرلا روضة مزدانة ولا تزال مورقة مخضرة تشمل يفوح منها الروائح الطيبة الى ارجاء مختلفة ان شاء الله–

و آخر دعوانا ان الحمدلله رب العالمين





المـــراجـــع

1. C.A., Innes- Madras District Gazatteers Madras, 1951. Vol.I, P-26
2. Panikkar, Sardar, K.M. A History of Kerala : Anna Mala University, 1959. P-8
3. C. A. Innes. Ibid
4. Kunhan Pillai, Ilamkulam. Kerala History During V and VI Denturies : N B S, Kottayam, 1970. P-40
5. Panikkar, Sardar, K.M. Ibid
6. Kunhan Pillai. The Dark Pages of Karala History: N.B.S. Kottaya. 1963. P-32

٧. معلقة امروء القيس

٨. على الجارم البلاغة الواضحة : دار المعارف . مصر ١٩٥٦–ص ٥٧

٩. القرآن السورة ١٥ آية ٧٩

10. Encyclopaedia of Islam. London 1913. Vol. VIII P-838
11. Sreedharan Nair, Commander. A Maritime History of India: Ministry of Information and Broadcasting, Delhi 5, 1965. P-43
12. Ibid
13. Panikkar, Sardar, K.M. Ibid. P-9
14. Shamsulla Qadiri. Ancient Malabar : Calicut 1954. P-22
15. Sayyid Muhammad, P.A. A History of Kerala Muslims: Ernamkula, 1961. P-74.

١٦. أحمد كويا الشالياتى . أعيان مليبار . مخطوط موجود فى مكتبة المخطوطات فى شاليات فى كيرالا

١٧. مخطوط هذا التخميس موجود لدى محمد كويا قاضى – كالكوت

١٨. مخطوط هذا التخميس موجود لدى محمد كويا قاضى كالكوت

١٩. محمد . النووى – سلالم الفضلاء : مصر ١٩٢٠ ص–٢

٢٠. هذه القصيدة مطبوعة و نسختها موجودة فى مكتبات مليبار

٢١. هذه القصيدة غير مطبوعة و نسختها موجودة لدى الاستاذ ، محمد عبيد كاباية الفاروق السابق

٢٢. المرجع السابق

٢٣. الدكتور ك·م· محمد–مساهمة كيرالا العربية ، أطروحة الدكتوارة ، الجامعة الاسلامية بعليكره – ١٩٧٦–ص ٣٠

٢٤. عبدالقادر ، الفضفرى – جواهر الاشعار : كيرالا ١٩٣٩ – الباب الخامس

٢٥. الدكتور محمد : المرجع السابق

٢٦. المرجع السابق – من ص ١٦٩ الى ١٧٣

٢٧. الدكتور ويران محى الدين – أطروحة الدكتوراه ، جامعه كالكوت -١٩٨٥

٢٨. المرجع السابق

٢٩. الدكتور محمد : المرجع السابق ص ٨٢

٣٠. المرجع السابق : ص ١٩٦

٣١. ديوان أبى ليلى : مخطوط موجود لدى صاحب الـ!م

٣٢. الدكتور ويران محى الدين : المرجع السابق

٣٣. المرجع السابق

٣٤. المرجع السابق

٣٥. عبدالقادر الفضفرى : المرجع السابق

★ ★ ★ ★